

التفصير المطول - سورة الإسراء 017 - الدرس 13-01 : تفسير الآيات 1 - 10
، معجزة الإسراء .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 26-06-1987

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا
وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من
يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الحكمة من ابتداء السورة بقوله سبحان :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس الأول من سورة الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
بِعَنْبَدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .. الموضوع متعلق بمعجزة الإسراء ، فلماذا بدأت هذه المعجزة بقول الله
سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ﴾ ؟

سبحان اسم ناب المصدر ، والمصدر ناب مناب الفعل ، قد تقول : أشكرك ،
هذا فعل ، قد تقول : شكرأ ، هذا مصدر ناب مناب الفعل ، سبان اسم ناب مناب مصدر ،
وم المصدر ناب مناب الفعل ، أي : سبّح ، ومعنى سبّح أي : نزه ، ومعنى سبّح أي : مجد ، نزه
ومجد .

السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة :

ما علاقة التسبيح بهذه المعجزة التي كانت بحق النبي عليه الصلاة والسلام ؟
العلاقة أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكون ، خلقه وفق نظام ، جعل لكل سبب نتيجة ،
وجعل فيما يبدو لنا أن الأسباب تؤدي إلى نتائج ، لكن الناس بعد أن ألغوا أن هذه الأسباب

تؤدي إلى النتائج ، قد يغفلون عن أن مسبب الأسباب هو الله ، وأن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة ، لذلك قد تأتي النتائج من دون أسباب كافية ، وقد تكون الأسباب ولا تتحقق النتائج المتوقعة .

إذا وجد السبب ولم يتحقق النتيجة المتوقعة كان هذا دليلاً على أن السبب وحده لا يكفي لتحقيق النتيجة ، وإذا كانت النتيجة من دون سبب معنى ذلك أن السبب ليس له دور حقيقي في إحداث النتيجة ، لكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، هذا يتوضّح بمثال فالله سبحانه وتعالى جعل توالد البشر عن طريق الزواج ، فلا بد من زواج بين رجل وامرأة حتى تتّجّب المرأة طفلًا ، هذا هو النظام العام ، هذا هو القانون المفترض ، لكن إذا عطل الإنسان فكره وتوهم أن كل زواج يؤدي إلى مولود هكذا الطبيعة عندئذ نجد حالة العقم .

رجل وامرأة ، والرجل والمرأة لا ينجحان طفلاً ، وقد خلق الله عز وجل آدم من دون أب ولا أم ! وخلق سيدنا عيسى من دون أب ، وخلق السيدة حواء من دون أم ، إذاً ما كل سبب يؤدي إلى نتائج ، معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وما هذه الأسباب إلا قرائن رافقت النتائج ، لكنها ليست هي الخالقة .

مثلك ضربه علماء التوحيد أن مصباحاً كهربائياً موصولاً بشريط ، والشريط ينتهي بمفتاح ، والمفتاح بيده رجل ، وهناك مفتاح كهربائي ليس موصولاً بالمصباح ، جاء شخص اقترب من المفتاح ، ضغط الرجل المفتاح فتألق المصباح ، توهم هذا الداخل أنه هو الذي أشعل المصباح ، هذا العمل تكرر كلما وضع يده على هذا الزر ، ضغط الرجل الزر الحقيقي فتألق المصباح ، إلى أن اعتقاد هذا الإنسان بسذاجة وتوهم أنه هو الذي يشعل المصباح ، ذات مرة دخل ووضع يده على المفتاح لم يتألق المصباح ، إذاً : هذه الضغطة على الزر غير كافية لتألق المصباح ، وفي مرة ثانية تألق المصباح من دون أن يضغط على الزر ، استنتجنا أن هناك جهة أخرى هي التي تشعل المصباح ، وما هذا الزر إلا ترايق ، كلما تألق المصباح رافق ذلك ضغط الزر .

أي السبب وحده غير كاف لإحداث النتيجة ، هذا أول معنى .

لذلك ربنا عز وجل من حين لآخر يخرق هذه القوانين ، يعطّلها ، يبطلها أو يعطلها ، تأتي النتيجة بلا سبب أي بطلها ، يكون السبب بلا نتيجة أي عطلها ، أحياناً هذه القوانين تُبطل أو تُعطل ، من أجل أن تؤمن أنه لا إله إلا الله ، وأن الله هو الخالق ، وأن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة .

تعطل قانون الزمان والمكان في معجزة الإسراء والمعراج :

لذلك أن ينتقل إنسان من مكة إلى بيت المقدس ، وأن يعرج إلى السماوات ، وأن يصل إلى سدة المنتهى ، وأن يعود إلى مكة في جزء يسير من الليل ، هذا فوق طاقة البشر ، لا يمكن أن يحدث هذا إلا خالق الكون الذي بيده أن يعطى قوانين المكان والزمان ، الزمان له قانون ، والمكان له قانون ، الله سبحانه وتعالى عطل قانون المكان وقانون الزمان ، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وانتقل بجسده الطاهر وبروحه الشريفة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ومن بيت المقدس إلى السماء ، الانتقال من مكة المكرمة إلى بيت المقدس إسراء ، والانتقال من بيت المقدس إلى السماوات العلا معراج .

إذاً : جاءت كلمة (سبحان) أي نَرَهْ هذا رب ، وعظمته ، ومجدُه الذي بيده كل شيء ، بيده المكان ، ولو شاء لألغي قوانين المكان ، وببيده الزمان ، ولو شاء لألغي قوانين الزمان ، إذاً : (سبحان) ما أعظم الخالق الذي بيده كل شيء ، الأسباب صور ، والنتائج صور ، هو كل شيء .

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

سورة الفتح

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَّأَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَيْلَيِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)

سورة الأنفال

لا يحدث شيء إلا بأمر الله ، وبعلم الله ، وبقدرة الله ، وبتقدير الله . إذاً : مناسبة أن تأتي كلمة (سبحان) في مطلع سورة تشير إلى معجزة تمت للرسول عليه الصلاة والسلام بانتقاله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ومن المسجد الأقصى إلى السماوات العلا ، في جزء يسير من الليل ، هذه معجزة فيها خرق لقوانين المكان والزمان ، ولا يستطيع أن يفعلها إلا خالق الكون ، وخلال المكان ، وخلال الزمان ، ﴿سُبْحَانَ الدِّيْنِ أَسْرَى بِعَنْدِهِ﴾ سبحوا ، سبح أيها القارئ ، سبح أيها المؤمن ، سبح أيها المسلم ، أي نَرَهْ وَمَجِدٌ وَعَظَمٌ .

معاني قوله تعالى : أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا :

١ . معجزة الإسراء والمعراج تمت في جزء يسير من الليل :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ ﴾ .. أسرى ، يقال : سرى وأسرى ، سرى مشى في الليل ، سرى مشى في آخر الليل ، وأسرى مشى في أول الليل ، فإذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ لكان المعنى أنه أسرى بعده ليلاً ، فلماذا جاءت كلمة ليلاً ؟ العلماء قالوا : جاءت كلمة ليلاً لتؤكد أن الإسراء تم بالليل ، لأن تقول :

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنَّمَا يَأْرِهُونَ (51)

سورة النحل

اثنتين تأكيد ، إله تعني أنه واحد ، إله مفرد ، لكن تأكيداً على أن المطلوب ليس معنى إثبات الألوهية ، بل المقصود إثبات الألوهية والوحدانية ، ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْتَيْنِ ﴾ اثنين توکید ، واحد توکید ، و : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا ﴾ تأكيد على أن هذه المعجزة تمت في الليل ، أما كلمة ليلاً جاءت نكرة ، ودليل أنها نكرة جاءت مؤونة ليلاً ، وهذه إشارة إلى أن هذه المعجزة تمت في جزء ، هذا التكير تكير تبعيض ، يوجد تكير شمول ، ويوجد تكير تمكين ، هذا التكير تكير تبعيض ، أي ليست الليل كله ، لم تستغرق هذه المعجزة الليل كله ، لا ، ليلاً ، أي في جزء يسير من الليل ، لأن تقول مثلاً :

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58)

سورة الكهف

الرحمة معرفة بأل ، أو تقول :

فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِئَلَّا هُمْ وَلُوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِظَ الْقُلْبُ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

سورة آل عمران

أي كل ما في قلبك من الرحمة يا محمد ما هو إلا جزء يسير يسير من رحمة المولى العظيم ﴿ فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِئَلَّا هُمْ وَلُوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِظَ الْقُلْبُ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) ﴾ أي في جزء يسير من الليل انتقلت في البيت الحرام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات العليا وعدت ولا يزال الفراش ساخناً ، هذا أول معنى .

2 . للتأكيد أن الإسراء تم في الليل لأن الليل وقت المناجاة والتجلّي والاتصال

لماذا قال الله عز وجل : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ ؟ المعنى الثاني : أن الليل جاء ليؤكد أنه وقت المناجاة ، وقت التجلّي ، وقت الاتصال ، وبعض العارفين بالله كان ينادي ربه : يا رب قد هجعت الطيور إلى أعشاشها ، وأغلقت الملوك أبوابها ، وأوى كل حبيب إلى حبيبه ، وأننا واقف ببابك أرجو جنابك يا رب .

أي الليل وقت المناجاة ، وقت الاتصال ، وقت التهلّل ، وقت الإقبال ، وقت التصرّع ، سبحانك لا يطيب الليل إلا بمناجاتك ، ولا يطيب النهار إلا بخدمة عبادك ، لا تطيب الدنيا إلا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة إلا ببرك .

إذاً أول معنى : أن الليل تأكيد إلى أن الإسراء تم في الليل . والمعنى الثاني : أن ليلاً المنكرة تكير تبعيض دليل على أن هذه المعجزة التي تحتاج إلى سنوات وسنوات تمت في جزء يسير من الليل .

القمر يُعد أقرب شيء للأرض ، يكاد القمر والأرض يكونان نجماً واحداً أو كوكباً واحداً ، القمر يبعد عنا ثانية ضوئية ، أي إذا تألق ضوء في القمر وصل إلينا في ثانية واحدة ، والشمس تبعد عنا ثمانين دقيقة ، والمجموعة الشمسية قطرها ثلاثة عشرة ساعة ، وطول درب التبانة مئة وخمسون ألف سنة ضوئية ، وبعض المجرات تبعد عنا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية .

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ أَقْسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)

سورة الواقعة

هذا القمر الذي يُعد هو والأرض ككوكب واحد يبعد عنا ثانية ضوئية ، المركبة التي توجهت إليه بقيت ثلاثة أيام بلياليها منطلقة إليه بأقصى سرعة ركبها إنسان ، سارت أربعين ألف ميل في الساعة ، الطائرة الحديثة جداً سرعتها ألف ، طائرات الركاب ألف ، بعضها ستمائة ، بعضها تسعمائة ، الحديثة ألف ، أما هذه المركبة فتسير أربعين ألفاً في الساعة ومع ذلك احتاجت هذه الرحلة إلى ثلاثة أيام ، أما النبي العدنان عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس إلى السماوات العليا ذهاباً وإياباً وعودة والفراش لا يزال ساخناً ، أي عُطّلت قوانين الزمان ، وعُطّلت قوانين المكان ، ولا يفعل هذا إلا الواحد الديان ، لا يوجد جهة أخرى ، مهما كنت ذا قيمة من دمشق إلى حلب بالسيارة تقطعها في أربع ساعات أو ثلاثة ساعات ، هذه طاقة البشر

، في الطائرة نصف ساعة ، أما تكون بثانية بطلب ؟ كن من كنت لن تستطيع ذلك ، لا يخرجك هذه القوانين إلا الله سبحانه وتعالى ، إذا : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ﴾ .

أكمل المخلوقات خلقاً وعلمًا أكملهم عبودية :

أما كلمة (عبده) قال : أكمل المخلوقات خلقاً وعلمًا أكملهم عبودية ، أي أعلى مرتبة ينالها الإنسان على وجه الأرض أن يكون عبداً لله ، إذا كمل علمه كملت عبوديته ، إذا قال : أنا فهو جاهل ، من أنت ؟ كنت لا شيء ، فأصبحت به خير شيء ، في الورى قد طبعك ، إذا قال : أنا ذاكرتي قوية ، الله عز وجل قادر في لمح البصر أن يُجدد قطرة دم في بعض شرايين المخ فيفقد ذاكرته ، إذا قال : أنا محاكمة قوية ، جمعت أعلى مجموع في الشهادة الثانية الله عز وجل قادر أن يقوم بانفجار لبعض شرايين المخ فيصبح مجنوناً وزليلاً في بعض المستشفيات العقلية ، إذا قال : أنا قوي أحمل كذا كيلو ، وحصل رقمًا أولمبياً مثلًا ممكناً أيضًا شريان آخر تأتيه خثرة دموية فيغلق فيصاب الإنسان بالشلل .

أفضل مقامات العبد مقام العبودية :

إذاً : كمال علمك يؤدي إلى كمال عبوديتك ، كمال حُلُقك يؤدي إلى كمال عبوديتك ، إذا عرفت نفسك حقيقة فأنت عبد الله ، ثلات كلمات مهلكات : أنا ،ولي ، وعندى ، قال إبليس :

قالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)
سورة الأعراف

فأهلتك الله عز وجل . وقال قارون :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْفُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ فُؤَادًا وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)
سورة القصص

فَخَسَقُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81)
سورة القصص

وقال فرعون :

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنٌ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ الَّذِينَ لَيْ مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا
تُبْصِرُونَ (51)

سورة الزخرف

أنا ولِي وعندِي ، فكلما ارتقى علمك اقتربت من العبودية ، وكُلَّما ارتقىت نفسِيتك اقتربت من العبودية ، فإذا بلغت قمة الكمال البشري فأنت عندئذ لا تزيد على أن تكون عبداً لله ، وإذا كنت عبداً لله رفعك الله ، وأعزك الله ، وأمدك الله ، وأغناك الله :
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

سورة الشرح

إذا كنت عبداً لله فأنت عزيز في الدنيا والآخرة ، وإذا كنت عبداً لله فأنت غني بكل ما تعني هذه الكلمة ، تحس بالغنى ، الغنى ليس عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى عنِي النفس ، لذلك :

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعزرت بمن يموت فإن عزك ميت

كلمة (بعده) أي كلما تعمقت بالتوحيد اقتربت من العبودية ، العبودية تعني أنك من أعز الناس ، ومن أكرمهم ، ومن أرفعهم شأنًا ، هل في الأرض كلها إنسان أعزه الله بهذا النبي العظيم ؟

قال لي أخ كريم : إنه تمكَن قبل سنوات بقدرة قادر ، وبشكل غير طبيعي أن يدخل الحجرة النبوية ، وأن يغسلها بنفسه ، وقيل له : إليك أن تتفَّق هذه المناشف التي نشفت بها الحجرة ، هذه مباركة ، فهذه الحجرة النبوية يتشرف الملوك بتنظيفها ، مما قولك بصاحب هذا المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى ؟

إذا كنت أنت عبداً لله يرفع لك ذكرك ، يرفعك في العالمين ، كلمة عبد أرقى كلمة يوصف بها إنسان ، أي عالم ، لأنَّه عالم صار عبداً ، لو كان متكبراً لكان جاهلاً ، لو قال : أنا ، معنى ذلك أنه أحمق وجاهل ، لا يفهم شيئاً ، لو قال : عندي ، هذا أحمق ، لو قال : لي ، أحمق ، لو قال : أنا أفعل كذا ، أحمق ، إلى أن يقول : لا إله إلا الله ، وأنا عبد الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، حسيبي الله ونعم الوكيل ، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، لا معطي يا رب لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، لا رافع إلا أنت ، ولا خافض إلا أنت ، ولا رازق إلا أنت .. فعندي أنت

عبد الله ، أي إذا عرفت حجمك الحقيقي رفعك الله في الدرجات العلا ، إذا عرفت حجمك الحقيقي
أمدّك الله بمددٍ من عنده .

أي مصلحة إذا قال صاحبها : أنا فهمان ، لابد من أن يرتكب حماقة تسخنه ، أو
لا يوجد مثلي طبيب ، أو لا يوجد مثلي مهندس ، أو أنا أنفرد في البلد بهذه الخبرة ... عندما
يقول : أنا ، فهو أحمق ، لا يعرف أن كل ما يملكه بإذن الله عز وجل ، فلذاك كلمة (عبد)
تعد قمة العلو البشري .

يرى أن النبي عليه الصلاة والسلام وهو في سدة المنتهى قال : يا رب اجعلني
عبدك ، اجعلني متمثلاً صفات العبودية الحقة ، فالمؤمن متواضع يعرف حجمه فيقف عنده ، لا
يتعدى حدوده ، لا يدعى ما ليس له ، لأنه عالم أصبح عبداً ، العلم يقودك إلى العبودية ،
والعبادة أرقى درجات العمل ، أرقى درجات العلم أن تقول : لا إله إلا الله ، وأرقى درجات العمل
أن تعبد الله .

نهاية العمل أن تعبد الله ونهاية العلم أن ترى أن لا إله غير الله :

لذلك الأنبياء جميعاً ملخص دعوتهم :
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)

سورة الأعراف

وَإِلَى إِلَيَّ أَخَاهُمْ هُوَدًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65)

سورة الأعراف

وإلى وإلى الأنبياء جميعاً آية متكررة .

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32)

سورة المؤمنون

نهاية العمل أن تعبده ، ونهاية العلم أن ترى أنه لا إله غيره ، لا إله إلا الله فاعبده.

بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)

سورة الزمر

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي أَضْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَكَلَّامِي فَخُذْ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)

سورة الأعراف

إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)

لَا يَوْجُدُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ .

شرف إضافة العبد إلى ربِّه :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ .. بعده ، الهاء ضمير غائب يعود على الله سبحانه وتعالى ، أي هل من تشريف أعظم من أن يضاف العبد إلى سيده ؟ من أن يضاف إلى خالقه ؟ من أن يضاف إلى الذات العليـة ؟ إلى صاحب الأسماء الحسـنى والصفات الفضـلى ؟ إلى واجـب الـوجود ؟ إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد ؟ إلى رافع السـماوات بـغير عـمد ؟ ﴿بِعَبْدِهِ﴾ لذلك عندما يكون قلب الإنسان صاحـياً ويقرأ قوله تعالى :
قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

أي أنت تـسبـتـ إـلـيـهـ ، أـضـفـتـ إـلـيـهـ ، يا عـبـادـيـ فـاقـنـونـ ، ﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ هذا الضمير المتكلم الذي يعود على الله عـزـ وـجلـ إذا أـضـيفـ العـبـدـ إـلـيـهـ فـهـذـاـ تـشـرـيفـ ماـ بـعـدـ تـشـرـيفـ ، أي إذا قال لك شخص رـفـيـعـ المـقـامـ : هـذـاـ موـظـفـ عـنـديـ ، هـذـاـ لـمـكـتـبـيـ الخـاصـ ، هـذـاـ أـقـرـبـ الـموـظـفـيـنـ إـلـيـ ، هـذـاـ أـعـلـىـ مـقـامـ ، أي أـضـيفـ هـذـاـ الإـنـسـانـ إـلـيـ هـذـاـ الإـنـسـانـ الـعـظـيمـ ، فـكـيـفـ بـالـمـوـلـىـ الـكـرـيمـ ؟

الـكـعـبـةـ مـسـجـدـ حـرـامـ أـصـالـةـ وـمـآـلاـ :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ .. الكـعـبـةـ كـانـ فـيـهاـ أـصـنـامـ ، فـكـيـفـ سـمـيـتـ مـسـجـدـاـ ؟ هـذـاـ سـؤـالـ ، وـالـأـقـصـىـ كـانـ هـيـكـلـ سـلـيـمانـ ، لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـسـجـدـ وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ قـبـةـ وـلـاـ مـحـرابـ وـلـاـ آـيـاتـ كـمـاـ هـيـ الـحـالـ الـيـوـمـ فـكـيـفـ سـمـاهـ اللـهـ مـسـجـداـ ؟ الـعـلـمـاءـ قـالـوـاـ : الـمـسـجـدـ مـكـانـ السـجـودـ ، وـالـأـصـلـ أـنـ هـذـهـ الـكـعـبـةـ الـمـشـرـفةـ بـنـاهـاـ سـيـدـنـاـ إـبـرـاهـيمـ لـتـكـونـ مـسـجـداـ اللـهـ عـزـ وـجلـ طـهـورـاـ ، هـدـيـتـ ، وـرـضـيـعـ فـيـهاـ الـأـصـنـامـ .

شيء آخر ؛ اسمها على أصلها ، أصل هذا المكان بـنـي ليكون مـسـجـداـ اللـهـ عـزـ وـجلـ ، وهـيـكـلـ سـلـيـمانـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـنـي ليكون مـسـجـداـ اللـهـ جـلـ وـعلاـ ، إـذـاـ : سـمـاهـ اللـهـ عـزـ وـجلـ ، هـذـاـ

المكان سماه مسجداً ، هذا المكان سماه مسجداً : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَنْزَى بَعْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسَاجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْأَقْصَى﴾ .. معنى الحرام أن هذه الكعبة المشرفة ومكة المكرمة جعلها الله بلاداً حراماً ، أي يحرم القتال بها في الأشهر الحرم ، ويحرم الصيد فيها ، ويحرم قطع النبات فيها ، أي بلد مقدس ، من أجل أن تكون أمناً للناس ، ومثابة ، وكذلك المسجد الأقصى المسجد البعيد ، تقول : الشرق الأدنى ، والشرق الأقصى ، والمسجد الأقصى أي المسجد بعيد عن مكة ، هنا يوجد إشارة إلى أن هذه معجزة : ﴿مِنَ الْمَسَاجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْأَقْصَى﴾ .

مباركة البلاد التي حول المسجد الأقصى :

﴿الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ﴾ قالوا : حوله بلاد الشام ، لذلك ورد في بعض الأحاديث : عن أبي أمامة الباهلي : صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ الشَّامُ ، وَفِيهَا صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، وَلَيُدْخِلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أَمْتَيْ ثُلَّةٍ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عِذَابٌ .

صحيح الجامع : خلاصة حكم المحدث : صحيح : أخرجه الطبراني

الداخل إليها فبرضائي ، والخارج منها فبسخطي ..

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف - أي نجمع - القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى للشام ، فقلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن ملائكة الرحمن ببساطة أجنحتها عليها .

رواوه الترمذى وقال : حسن غريب

طوبى لمن له فيها مريض شاء ، مريض شاء أي نصف هذه الطاولة ، وكان عمود الإيمان كما قال النبي العدنان عمداً به إلى الشام في آخر الزمان ، وما هذه المجالس الطيبة إلا دليل أن الله سبحانه وتعالى خصها بعانته ، وحفظها من كل سوء ، فطوبى لمن له فيها مريض شاء ، ((الشام صفوة الله من أرضه ، وفيها صفوته من عباده)) لكن حتى لا يعتقد الإنسان دمشق بالتحديد ، لا ، بلاد الشام المقصود بها هذه البلاد التي حول المسجد الأقصى الذي باركتنا حوله ، ليس معنى هذا أن كل شيء موجود ، الإنسان قد يكون عزيزاً على إنسان آخر ، وهو في العناية المشددة ، ممكناً ، لأنك عزيز على أبيك وكان هناك مرض يؤخذ هذا الإنسان إلى العناية المشددة ، فباركنا حولهقصد إذا كان هناك ضيق فبسبب أن يندفع الإنسان إلى المولى جل وعلا ، جاء في بعض الأحاديث :

أوحى ربك إلى الدنيا أن تمرى ، وتكدرى ، وتضيقى ، وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائى .

السلسلة الضعيفة : حكم المحدث منكر

البركة عامة ؛ دنيوية وأخروية :

﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وقد تكون البركات أخروية ، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، قد يتوجه الإنسان أن البركات دنيوية ، طبعاً يوجد آيات أخرى حينما قال الله عز وجل : ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعَبِيَا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ مُحِيطٌ﴾ (84)

سورة هود

العلماء فسروا هذه الآية أن الخير يعني وفرة المواد ، ورخص الأسعار ، ولكن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، قد تأتي شدة فترقى بها إلى المولى جل وعلا بهذه خير ، ومحض خير ، ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، العطاء من العباد منع ، والمنع من الله إحسان :

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهَةٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَفْلِمُونَ﴾ (216)

سورة البقرة

الإنسان أحياناً يخسر ماله كله ، يقول لك : لم يبق شيء ، احترق محله ، من أجل أن تتمرد من عينيه دمعة واحدة يندم بها على بعض المعاصي ، إذا انتهى فقد المال كله بتوبة نصوح فقد ربح ربحاً كثيراً .

عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي :

إنْ صَهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجَرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرْيَشٍ : أَتَيْتَنَا صُعلوْكًا فَكُثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا وَبَلَغَتِ ما بَلَغَتِ ، ثُمَّ ثَرِيدَ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّنَّ سَبِيلِي ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : رَبِحَ صَهَيْبٌ رَبِحَ صَهَيْبٌ .

ابن حجر العسقلاني : المطالب العالية : خلاصة حكم المحدث : صحيح

غير أنه ضيّع كل ماله ، لكنه نجا ، وكسب دينه وأخرته ، لذلك من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ، إنسان من دون شدة مستحيل ، الشدة دليل ، امتحان لا بد منه .

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ (3)

سورة العنكبوت

لا بد من شدة ، بالشدة تظهر على حقيقتك ، إن كنت مدعياً يظهر ذلك ، وإن كنت ملحاً يظهر ذلك .

الإسراء والمعراج تسليمة للنبي العظيم وإكراماً له خاصة بعد الشدة والضيق :

لذلك ربنا عز وجل يقول : ﴿الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا﴾ .. لدي هنا سؤال : (لنريه) ، إذاً هذه المعجزة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءت بعد سنوات عجاف ، بعد امتحان مرير ، توفي عمه أبو طالب ، توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها ، كانت مؤنساً له ، كانت خير زوجة ملخصة .

عن عائشة : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ حَدِيجَةَ أَنَّهُ عَلَيْهَا فَأَحَسَّ النَّثَاءَ ، قَالَتْ : فَغَرِبْتُ يَوْمًا ! فَقُلْتُ : مَا أَكْثَرَ مَا تَنْكِرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ ! قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا حَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتُنِي إِذْ كَدَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَا لَهَا إِذْ حَرَمْنِي النَّاسُ ، وَرَزَقْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمْنِي أُولَادَ النِّسَاءِ .

الهيثمي : مجمع الزوائد : إسناده حسن

لا ينسى لها ذلك ، كان وفياً ، كانت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي أصغر نسائه سنًا تقول له : ألم يبدلك الله خيراً منها ؟ كان يقول عليه الصلاة والسلام : لا والله ، لا والله ، ما أبدلني خيراً منها ، هذا هو الوفاء ، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة ، كانت بعمر أمه ، هذا الوفاء ، انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة ، إذا كان أحدهم متزوجاً امرأة أكبر منه أو بعمره إذا مرضت يتلقاً ، يقول في نفسه : سأتزوج غيرها ، يتلقاً ، يا رب تكون القاضية ، أما النبي الكريم فكان وفياً عليه أتم الصلاة والتسليم .

إذاً : (لنريه) بعد الشدة والضيق ، المعارضة والصد ، والتمر من قبل قريش ، أي بلغ الخط البياني الحضيض ، فجاء الإسراء والمعراج تسلية لهذا النبي العظيم ، وإكراماً له ، وتعريفاً بمقامه ، تعريفاً له بأنه سيد الأنبياء والمرسلين ، ما كان يعرف ذلك قبل هذا التاريخ . حينما صلّى بالأنبياء على بعض الروايات في بيت المقدس عرف أنه سيد ولد آدم ولا فخر ، عرف أنه سيد المرسلين ، عرف أنه إمام المرسلين ، عرف أنه المخلوق الأول .

قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْغَابِدِينَ (81)

سورة الزخرف

أول عابد الله عز وجل هو النبي عليه الصلاة والسلام ، أي الأولى ، يا أول خلق الله ، ليس أولية زمنية ، بل أولية مقامية ، من حيث المقام ، أول خلق الله .

الله تعالى من على النبي بالإسراء والمعراج وعلى موسى بالكتاب :

﴿ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الله سبحانه وتعالى أطلع هذا النبي الكريم على مقامه العظيم في هذا الإسراء والمعراج ، أي بها يعرج إلى الله عز وجل ، كلما استقام قبلها ، وكلما تقرب إلى الله بفعل الخيرات ، كانت صلاته معراجاً له . وكما من الله على هذا النبي العظيم بالإسراء والمعراج من على سيدنا موسى بالكتاب .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ .. منا عليك ، وعلى موسى ، عليك بالإسراء والمعراج ، وعلى موسى بالكتاب .

فحوى الكتاب أن نعبد الله وحده وألا نتخذ من دونه وكيلًا :

﴿ وَجَعَلْنَاهُ هَذِي لِبْنِي إِسْرَائِيلَ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي فقوى الكتاب أن تعبد الله وحده ، وألا تتخذ من دونه وكيلًا ، ﴿ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا .. ألا تتخذ من دونه جهة تعتمد عليها ، أو تركن إليها ، أو تلجا إليها ، أو تقصدها ، أو تطيعها ، ﴿ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي ألا تتخذوا من دوني ربكم ، ربكم الله ولا رب سواه ، ومن تضعضع أمام

شخص ظاناً أنه ينفعه ، أو يضره ، أو يعطيه ، أو يمنعه ، فقد اتخذه رباً ، وقد أشرك بالله رب العالمين ، لذلك :

عن عبد الله بن مسعود :

مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لِأَجْلِ غِنَاهُ ذَهَبَ ثُلَاثَا دِينِهِ .

السيوطى ، الدرر المنتشرة : خلاصة حكم المحدث : أورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب

شيء آخر :

اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير .

السلسلة الضعيفة وضعيف الترغيب والترهيب

لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، له رب ، وهذا الرب بيده كل شيء ، مطلع عليك ،
كلما اعتمدت عليه أكرمك ، وكلما التجأت إليه حماك .

أطع أمرنا نرفع لأجلك حبنا
فإنا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحثنا واحتسم بجنبنا
لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

﴿ أَلَا تَتَخَذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي رباً تدعونه ، تلوذون به ، تلتजئون إليه ،
تحرصون على رضاه ، لا إله إلا الله ولا رب سواه .

نوح عبد شكور علينا الاقداء به ونكون من أهل الشكر :

﴿ ذُرِيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ .. هذه الكلمة منصوبة ، أي يا ذرية من حملنا مع نوح ، أي أيها البشر نحن جميراً ذرية من حملنا مع نوح ، سيدنا نوح هو الذي نجا ، والذين آمنوا معه من الطوفان الذي عم الأرض ، لذلك لم ينج من طوفان نوح إلا سيدنا نوح ومن معه ، ونحن ذرية له .

﴿ ذُرِيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ أي يا ذرية من حملنا مع نوح ، يا أيها البشر الذين من الله عليكم ، وأنجاكم من الطوفان ، وجعلكم أحيا ، وخلقكم ، وأوجدكم من العدم ، ﴿ ذُرِيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾.. كونوا كنوح شاكراً ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ، ما لكم لا تشكرون ؟ ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ما لكم لا تعرفون ؟ مالكم لا تطيعون ؟ مالكم لا تحبون ؟ ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ يا ذرية من حملنا مع نوح إن جدكم نوح كان عبداً شكوراً ، فماذا تفعلون أنتم ؟

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَغْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ .. الحديث الآن عن بنى إسرائيل ؛ هؤلاء في علم الله وهم مختارون ، أي لا يتناقض أن الإنسان مختار ، وأن الله سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون ؟ الإمام علي كرم الله وجهه يقول : " علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون " ، الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء ، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، يعلم بلا كيف ، والإنسان مخير ، علم الله عز وجل لا يؤثر في اختياره .

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ .. أول مرة ، وثاني مرة ، ﴿ وَلَتَغْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ علو الاستكبار ، علو الظلم ، علو أن يبني الإنسان مجده على أنفاس الآخرين .

علاج الفساد :

﴿ وَلَتَغْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعْثًا عَلَيْنَمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأُسْدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ الله عز وجل إذا حصل الفساد يقيض لهذا الفساد رادعاً ، يقيض علاجاً ، والعلاجات أنواع ، قد يكون العلاج في الزلزال ، وقد يكون العلاج في الفيضان ، وقد يكون العلاج في جدب الأرض ، وشح السماء ، قد يكون العلاج في الطوفان ، في المطر الشديد ، في الفقر الشديد ، وقد يذيق الله عباده بأس بعضهم بعضاً ، وهذا أحد أنواع العلاج :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)

سورة النحل

هذا علاج .

فُلْنُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْئًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِعَلَّهُمْ يَقْهَمُونَ (65)

سورة الأنعام

فهؤلاء بنو إسرائيل بعد أن فسدوا ، وطنعوا ، وعتوا ، وتمردوا ، وعلوا علواً كبيراً ،
بعث الله عليهم عباداً لنا ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ أي بأمرنا ،
بتوجيهاتنا ، بعلمنا ، عباداً لنا ، بختصر ﴿أُولَيَّ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.. أي قتلوا
من قتلوا ، ونهبوا ما نهبوا ، وسفكوا الدماء ، وانتهكوا الأعراض ، فسحق بنو إسرائيل ، ﴿فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَيَّ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا - داسوا - خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ
وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ هذا الوعد قد تقدّم .

الحياة تحول وتغيير ولا تستقيم على حال واحدة :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد أن جاءت هذه المصيبة الساحقة ، وهذا الابتلاء
العظيم ، وهذا القهر تاب هؤلاء ، ورجعوا واستقاموا ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.. أعاد الله
لهم ملكهم ، ومجدهم ، وغناهم ، ورزقهم من الأموال والأولاد ما تقر به العيون ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ
الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ ثَنِيَّرًا﴾ الحياة كر وفر ، البطل الذي إذا
جاءته الدنيا لا يطغى ، لأنه إذا طغى سوف يقهقه الله سبحانه وتعالى ، البطولة أن تكون مع الله
وأنت في الرخاء ، وأنت في أوج نجاحك ، وأنت في أوج صحتك ، وأنت في أوج وقوتك ، ألا
تنسى الله عز وجل ، هذه البطولة ، أما كل إنسان ضيق الأفق ، أعمى ، إذا جاءته الدنيا ،
وأصبح قوياً ينسى فيطغى ، فيأتيه تأديب الله عز وجل ، ضربة قضية ، هذه سنة الله في خلقه
، يعطي الدنيا ، يعطي الأموال ، يعطي الأولاد ، يعطي القوة ، الخيرات من كل جانب ، هذا
الإنسان يعلو فيعلو ، فينسى ، فيطغى ، فيفسد ، فيتجبر ، فيظلم ، تأتيه ضربة الله القاصمة ،
يتوب ، مadam قد تاب يعود الله إلى إكرامه ، فإذا رجع إلى معصيته جاءه العلاج ، أبداً ، إن لكل
سيئة عقاباً ، ولكل حسنة ثواباً .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْيِي
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَتَرِيدُ أَنْ تَمْنَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ
أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ (5)

سورة القصص

إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

وَتَرِيدُ أَنْ تَمْنَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَتُمْكِنَ
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)

سورة القصص

الظالم سوط الله ، ينتقم به ، ثم ينتقم منه .

وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

سورة الأنعام

هذا ملخص الآية .

من أحسن أحسن لنفسه ومن أساء فعليها :

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ هذا مبدأ عام ، إذا وضع إنسان في الصندوق أموالاً ، والصندوق مفتاحه معه ، وهو ملكه ، ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ .. ﴾ تستقيم لنفسك ، تترفع عن المال الحرام لنفسك ، تغض بصرك عن محارم الله لنفسك ، وسيكون الزواج سعيداً ، تتظر إلى الحرام فزواج شقي ، تكسب مالاً حراماً يدمر المال ، تكسبه حلاً ينمو ، تكون صادقاً يرفعك الله عز وجل ، تكذب يحطك ، تكون أميناً يغريك ، تخون يفقرك ، تزني يُزن بزوجتك ، من يزن يُزن به ، تنظر ينظرون إلى زوجتك ، تلمس يلمسون ، أبداً ، حساب دقيق ، إن أحسنتم تفك بالكون ، تتعرف إلى الله عز وجل ، تعيش حياة سعيدة ، تلتقت إلى الدنيا يأتي خريف العمر ويحمل معه الشقاء الكبير ، ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ إذا ملك رجل سيارة ، وأحضر حجراً وكسر زجاجها ، فمن يكون قد آذى ؟ من غاظ ؟ أغاظ نفسه ، وإذا اعترى بها فله ، إذا اعترى بها أراحته وأراحها ، وفرت عليه نفقات ، إذا أساء لها تسيء له ، القضية بمنتهى البساطة ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .

الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ - أَيْ فِي الْفَسَادِ الثَّانِي - لِيَسْوُءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي هناك نوع من الإيلام والإهانة ﴿ وَلَيُنْذَلُّوْا الْمَسْجِدَ - المقصود به بيت المقدس - كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُنَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾.. التنبير هو التخريب ، والتدمير ، أي أعداؤكم الذين سيقتصون بتأدبيكم على فسادكم ﴿ وَلَيُنْذَلُّوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُنَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ وسيهدمون كل شيء ، ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا ﴾.. هذه الآية وحدها تكفي ، لأن الله عز وجل يخاطب كل واحد منكم ، ﴿ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا ﴾.. إن رجعت إلى رجعت إلى

إكرامك ، وإن نسيتني قيضت لك ما يرجعك ، إن رجعت إلى طوعاً رجعت إلى إكرامك ورفع شأنك ، وإذا نسيتني وكفرت بي قيضت لك ما يزعجك ، أنت تريده وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريده ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريده ، ثم لا يكون إلا ما أريد .

كن لي كما أريد أكن لك كما تريده ، كن لي كما أريد ولا تعلموني بما يصلحك ، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ ولم ترجعوا صار الفساد الثاني ، ولم ترجعوا ، سأقىض لكم عباداً لي يقهرونكم ويدلونكم ، ﴿وَلَيَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَثْبِيرًا﴾ يدمرون كل شيء ، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا﴾ ، يوجد آية قرانية :

له مُعَقِّباتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يُحَفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال (11)

سورة الرعد

قانون ، والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في هذا القرآن إلا هذه الآية لكتت ،
رجل وقع في مشكلة لن يغير الله ما به حتى يغير ، حتى يتوب ، حتى يرجع إلى الله ، حتى يصلي ، حتى يستقيم ، حتى يعمل الصالحات ، غير حتى يغير ، وإذا كنت في بحبوحة وأمن وسلام وصحة وعافية ومكانة وأنت لم تغير فالله لا يغير ، مهما اشتدت الظروف إن لم تغير فلن يغير ، غيرت يغير ، هذه لها معنى عكسي . ﴿وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا﴾ .

جهنم مكان يحصر فيه الكافر :

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .. أي مكان يحصر به الكفارة ، ليس القضية يوجد باب مفتوح وتسلل أحدهم من فوق السور لا يوجد ذلك ، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي تحصرهم حسراً .

المطيق للقرآن سعيد في الدنيا والآخرة :

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ لا يوجد آية أبلغ ولا أجمل من هذه الآية : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ .. أي طبقته بزواجه يصبح زواجه سعيداً ، طبقته في صحتك تتمتع بها إلى نهاية الحياة ، طبقته في علاقاتك المالية ، ولم تأكل الربا ، ببارك الله

لَكَ فِي مَالٍ ، طبقة في أمور المعاش في التجارة ، في الصناعة ، في الزراعة .. حينما طبقة هذا الكتاب يهدى للتى هي أقوم ، غضبت من زوجتك فلم تخرجها إلى بيت أهلها ، طبقة الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعُدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1)

سورة الطلاق

يمر يوم أو يومان تتصالحان وانتهى الأمر ، بقيتم في مكانكم العلية ، لا ، ساعة غضب نسيت الآية فطردتها إلى بيت أهلها ، شهرين ، ثلاثة ، أربعة .. أنت امتلأت غيظاً وهم امتلؤوا غيظاً ، والتفكير أصبح بالطلاق ، ولديك أطفال منها ، ولا يوجد من يرعى الأولاد ، من غلطة واحدة أصبح الطريق إلى الهاوية مفتوحاً ، تطبق القرآن :

الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورُهُنَّ فَعَطُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطْعَنُكُمْ فَلَا تَتَبَعُوْعَاهُنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْاً كَبِيرًا (34)

سورة النساء

تكون أعلى منها علمًا ، وخلقًا ، وأدبًا ، وصلاحًا ، وتفق علىها ، تملك القيادة ، فإذا كنت دونها ورعاً ، وعلمًا ، وصلاحًا ، وطمعت بما لها كانت لها القيادة عليك ، القضية واضحة ، قرآن كريم ، يجعل نفسك فوقها بمئة درجة تعدد ظالماً ، وربنا عز وجل قال : وَالْمُطْلَقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنْ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْخَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)

سورة البقرة

درجة واحدة ، وليس مليون درجة ، ليس هي لا شيء ، وأنت كل شيء ، هي شريك حياة ، لكن القيادة لك .

أحياناً يلتقي ضابطان بالثكنة بنفس الرتبة ، الأقدم يقود السرية أو الكتيبة ، ربنا جعل الزوج أقدم دائمًا ، أعلى درجة . « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ » لا يوجد شيء ، إن كان هناك توجيهات صحيحة ، الله عز وجل قال :

يَا بَنِي آدَمَ حُدُوا زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)

سورة الأعراف

هذه الآية تكفي ، ذهب رجل إلى دولة أجنبية ، على أضخم مستشفى كتب باللغة الأجنبية : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشع ، محمد بن عبد الله . قال : هذا

ال الحديث يُعد أصلًا في الطب الوقائي ، إن طبقة القرآن في الطعام والشراب تقطف ثماره في الدنيا ، وإن طبقة في الزواج تقطف ثماره ، إن طبقة في التربية تقطف ثماره ، في العمل ، في التجارة .. في أي شيء تطبقه تقطف ثماره ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْرَبُ﴾ ، أي التي هي أصلح .

القرآن يبشر المؤمن العامل للصالحات بأجر عظيم :

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .. مرة ضربت مثلاً مضحكاً ؛ رجل فقير إلى درجة قصوى ، دخله سبعمئة ليرة ، عنده اثنا عشر ولداً ، بيته بالأجرة في مثل هذه الأيام ، له عم غني كبير ، ليس له أولاد ، توفي فترك ثمانية وخمسين مليونا ، هذه الأموال لهذا الإنسان ، بقي سنتان حتى استطاع أن يقبضها ، سنتان بين وفاته وبين قبضه للمبلغ ، هذا الإنسان الفقير هل تغيرت حياته ؟ لم تغير ، طعامه تحسن ؟ لم يتحسن ، بيته غيره ؟ لم يغيره ، لماذا صار سعيدا ؟ دخل في الوعد ، دخل في الأمل ، هكذا المؤمن بالدنيا ، مهما ضاقت دنياه فهو طامع في الجنة ، هذا الإنسان الفقير مadam سياتيه مبلغ ضخم كلما رأى بيته فخماً هذا سأشتريه ، كلما رأى مركبة فخمة هذه سأشتريها ، كلما رأى شيئاً جميلاً يقرر شراءه ، لأنه أصبح موعوداً بمبلغ ضخم ، لكن إجراءات قبض المبلغ تستغرق وقتاً ، هذا المثل لم يقع بل هو من عندي ، إنه مثل تركيبي ، وليس مثلاً واقعاً ، دخل بالوعد ، صار سعيداً ، أحد أسباب سعادة المؤمن أن الله عز وجل وعده بالجنة .

والحمد لله رب العالمين

